دروس الحديث الشريف **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

سلسلة الأحاديث القدسية

((عبدي تفرغ لعبادتي))

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا متقبلا يا أكرم الأكرمين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ((**يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**))[الترمذي].

العبادة نوعان:

1. **عبادة شعائرية**: صلاة وزكاة وصوم وحج.

2. **عبادة تعاملية**: كل أمر فيه نفع لك أو للناس، منضبط بالشرع، نويت به التقرّب إلى الله تعالى فهو عبادة.

مثال:

إذا كانت أعمالك في المكتب منضبطة بالشرع، ونويت به التقرّب إلى الله تعالى لإرضاء الناس أو نفسك فهو عبادة.

إذا كان العمل غير منضبط بالشرع فهو ليس عبادة، إذا كان العمل ليس فيه نية التقرب إلى الله تعالى ليس عبادة، إذا كان العمل فيه إضراراً بالناس ليس عبادة، إذا كان العمل فيه إضراراً بنفسك ليس عبادة.

نحن في الصلاة نقول: **وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين**....

ثم تقول: **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله**...

أنت تقول: يا رب حياتي كلها لك، هل أنت صادق؟!

والله إن الذي يبيع لله يربح ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[التوبة :111]

فإذا لم يوجد ما تابيعه، بِع نفسك لله، فإنك تربح ولا تخسر، هو لا يمنعك من طعام ولا من شراب ولا من كساء ولا من رحلات ولا من الذهاب إلى المطاعم، ولا من الضحك ولا من اللهو.

لكنه يضبط لك برنامجك وفق أصحّ المعايير، ووالله إذا بعت مالك لله **فأنت رابح**، وإذا أبقيت مالك لأجل أن تتكاثر به **فأنت خاسر**.

وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا...

عدد من الناس عنده دوام من الساعة الثامنة صباحاً إلى العاشرة ليلاً، ويصل في العاشرة ليلاً، ويستيقظ صباحاً وينزل إلى عمله، وهكذا....

لي صديق، طبيب أسنان، يحجز المريض له موعداً عنده قبل شهر ونصف، وقد كان يلتزم معنا في المسجد، وبسبب ضغط العمل لم يعد يأتي إلى المسجد، نتصل به فيعتذر وفِعلاً هو مشغول جداً.

فذهبت إلى عيادته، فلم يستطع أن يستقبلني دون أن يكون بين يديه مريض، قلت له: كيف حالك يا دكتور .

فقال لي: أشعر بأني لست من بني آدم.

قال لي: أنا في الصباح الساعة السابعة صباحا اذهب إلى المشفى حتى الساعة الثانية.آتي الساعة الثانية إلى البيت فآكل وأنام، وفي الساعة الرابعة يجب أن أفتح العيادة، وهكذا حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً، أدخل إلى بيتي مُنهكاً فأنام ، ثم أستيقظ في الساعة السابعة ، وأنزل إلى المستشفى، وهكذا كل حياتي، قال لي: فهل أنا طبيب أسنان حقّاً؟!.

وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا...

هناك مزارع في يعفور مهجورة، المزرعة مهجورة، يقول لك صاحبها: والله لا يوجد وقت حتى أذهب إلى المزرعة، صحيح:

وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا...

يا رجل اِذهب إلى المزرعة، واستغنِ عن مبلغ من المال، واجلس في المزرعة، قال: لا يستطيع!.

لذلك نصيحتي لكم شبابا وكبارا: **تعالوا نبيعها لله**....والله نربح ؛ بِع كل مالك لله.

قل له: يا رب أنا كل شيء عندي لك، إذا أمرتني ائتمرت، وإذا نهيتني انتهيت....

قل له: يا رب أنا كل عقلي لك، كل طاقتي لك، أينما توجهني أنا ماضٍ، والله تربح.

هو لا يمنعك عن العمل، بل هو يقول لك: انزل إلى العمل

لكن هناك فرق كبير بين من ينزل إلى العمل وهدفه التكاثر؛ قال تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾[التكاثر:1] ، وبين من ينزل وهدفه إيصال نفع إلى الخلق.

الذي هدفه التكاثر إذا عُرض عليه الحرام أخذه، فلا يوجد عنده مشكلة، لأنه يريد أن يَكثر ماله، أما الذي هدفه خدمة الخلق، إذا عُرِض عليه الحرام لا يأخذه، فهو ينزل إلى العمل خدمة للعباد، فهل من المعقول أن يخدم العباد بشيء فيه شقاؤه عند الله؟! إنه لا يريد الحرام.

يا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ.

يقول ابن عطاء الله السكندري:

انشغالك فيما ضمن لك، وانصرافك عما طلب منك، دليل على انطماس في بصيرتك.

وبالمناسبة: الطعام والشراب مضمون لناً جميعاً، وكذلك الزوجة والأولاد، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات : 56]

أحد أمرين : إما أن تسير كما يريد الله، أو أن تسير كما تريد أنت.

فإذا سرت كما يريد الله فأنت رابح، أما إن سرت كما تريد، فاعلم أنك خاسر، وستتلف أعصابك، وستضيق شرايينك، وسيصبح عندك سكتات دماغية، واعتلالات في الأعصاب، وسيصبح عندك سكري، وستصبح ولا تعرف من أين تأتيك السهام !.

لماذا أتعبت كل أعصابك من أجل الدنيا، وهي لك؟ لا تُتعب أعصابك فيها، اجتهد واعمل، ولكن لا تتعب أعصابك، ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾[محمد: 36]

عندنا يكون نزولي إلى العمل من أجل الله، فإن نزولي لم يعد لعباً، وإنني أُثاب عليه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ أَتَيْنَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ فَقُلْنَا حَدِّثْنَا مِنْ غَرَائِبِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ نَعَمْ كُنْتُ رِدْفَهُ عَلَى حِمَارٍ قَالَ فَقَالَ **((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: إِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ))**.[أحمد]

إذا بعت نفسك لله، فإن الله لا يعذبك في الدنيا، ولا في الآخرة.

الناس (وأنتم ترون) يتعذّبون، الكبير والصغير، الغني والفقير، الأجير والوزير، كلهم متعبون نفسياً وجسدياً وعصبياً.

فإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيم أقامك.

يعني مقامك عند الله بالعمل الذي جعلك تعمله، وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح، فأره أعمالك الصالحة.

إننا لن نُقاس بثرواتنا، ولا بموازنات شركاتنا ومعاملنا، حجمك عند الله بقدر عملك الصالح، فإذا كانت أعمالك الصالحة صغيرة، فهذا هو حجمك، وإذا كان لك أعمال صالحة كبيرة جداً، فإن حجمك بقدر عملك.

واعلموا: أن الحياة مضمونة لنا؛ أتذكرون عندما ولِدتم،لم يحاسِب أحد منكم رب العالمين بثمن عيونه، ولا بثمن كليته ولا بثمن قلبه، ولا بثمن الدسامات، ولا بثمن الشرايين، ولا بثمن العظام، ولا ..، إنك لم تدفع شيئاً، بل هو ضَمن خلقك، والذي دفع ثمن شيء من ذلك فليخبرنا !.

إذاً فلنجعل كل حياتنا كما يريد الله، ووالله سنربح في الدنيا والآخرة.

الصحابة أيها الإخوة هكذا انقلبواعظماء ، وهكذا نالوا هذه المرتبة العليا، فهذا سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كان تاجراً، وابن عائلة مشهورة، وله نسب عريق، وقد جال الأرض، قَدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم مرة، وعليه عباءة مهترئة، فنزل جبريل من السماء فقال: يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر عليه حلّة مهترئة؟ فقال: يا جبريل إن أبا بكر أنفق كل ماله في سبيل الله، لقد باع نفسه لله، فقال جبريل: **قل له : إن الله يقرئه السلام**، (رب العالمين يسلّم عليك يا أبا بكر) ! **ويقول لك :أراضٍ أنت عن ربك في حالك هذه أم ساخط!**؟

أأنت راض عن الله يا أبا بكر أم لست راض، أنه تركك فقيراً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: **إن ربك يقرئك السلام ويقول: أنت ساخط عن ربك أم راض!**.

فبكى أبو بكر وقال: أأسخط عن ربي؛ إني عن ربي راض، إني عن ربي راض، إني عن ربي راض.

فأنزل الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾[الليل:17] .أي سيتجنّب نار جهنم﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21) ﴾[الليل] أبشر يا أبا بكر والله ليرضيك ربك، **فهل خسر أبو بكر أم ربح**؟!.

ومنذ ألف وأربعمائة سنة، وما من مسلم يقف أمام قبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويسلّم عليه، إلا ويخطو خطوة نحو اليمين، ليسلّم على أبي بكر.

لا يُذكَر أبو بكر رضي الله عنه في مجلس إلا ترضى عنه الناس، إنه لم يخسر، وإن رب أبا بكر هو ربنا، فتعالوا نُقبل إقبالا صحيحاً على الله سبحانه وتعالى، واعملوا في الدنيا ما شئتم، لكن اجعلوا نية هذا العمل أنه كله لله، لا تدخل حراماً إلى بيتك، ولا على أهلك فيغضب رب العالمين.

إنك إذا أخلصت في خدمة عبد مثلك تجده يكافئك، فكيف إذا أخلصنا لله!.

واعلم أنك ما إن تُدخل الحرام عليك، فإن الله يرفع عنك توفيقه، وقد خرج عملك من العبادة، إذا أردت أن يكون عملك لله فلا تقرب الحرام.

نَعم هذا الأمر صع ، لكن من أجل الله يصبح أمراً سهلاً .

أحيانا أبوك يقول لك: من أجلي لا تفعل هذا الأمر الفلاني، فتقول له: سمعاً وطاعة يا أبي.

الآن من أجل الله، لا تفعل هذا الأمر، من أجل الله، لا تأكل الحرام .

قد يقول قائل: كل أهل السوق يأكلون الحرام!.

ليحترق كل السوق، المهم أن تنجو أنت، و ليست فلسفة أن تقول: هكذا التعامل في السوق، دع السوق للسوء، أنت افعل كما يُرضي الله عز وجل، لا تُدخل حراماً في رزقك ، ولا تضر عبداً من العباد.

إذا طُلب منك معونة للخلق، أو لأحد من الناس فافعل، عندها تكون خالصاً لله تعالى.

ونحن نَعم نضحك ونأكل ونشرب، لكن كل هذا منضبط في شرع الله تعالى، فلا نؤذي أحداً من الخلق .

رجل وصل إلى قمم الحياة الخمسة:

كان قمة في **العلم**: أستاذ جامعي في كلية الطب.

وقمة في **المال**: بيته ومزرعته وسيارته متوفرة.

وقمة في **الأسرة**: أولاده أساتذة في كلية الطب في أمريكا.

وقمة في **الصحة**: يعني يراعي صحته في أكله وشرابه تماما ويلعب الرياضة وجسمه قوي وعمره سبعون عاما.

وقمة في **الجاه**: له اتصالات ومعارف كبيرة جداً وكلمته لا ترد.

قال لي وهو يبكي: لقد ضيّعت حياتي.

كيف ضيّعت حياتك؟! كل الناس تتمنى أن تصل إلى ما وصلت إليه!.

فقال: فعلتُ كل الذي فعلته، لكن كنت بعيداً عن تقوى الله سبحانه وتعالى.

شخص آخر في فرنسا، له نفس المواصفات التي ذكرناها، وجدوه قد انتحر وقد كتب ورقة:

لقد بلغت قمم الحياة كلها لكني لم أحصل على السعادة.!

يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ...

الغنى في القلب، وليس في اليدين ، أحيانا تجد رجلاً دخله بسيط، ولكن تشعر أن هذا الرجل يعيش كما تعيش الملوك، وأحيانا تجد رجلا آخر معه من المال الكثير ، لكن نفسه الدنية خسيسة جداً، تجده لأجل ألف ليرة، ممكن أن يذلّ نفسه إلى أسفل السافلين !.الغنى ليس بذات اليد، الغنى بالقناعة في النفس؟

وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ ..

الأمر عائد لك، والله لن تفرغ إلى أن تقوم بأهم الأعمال الخاصة بك .

أحد الإخوة يُوصل أولاده إلى المدرسة، هو يقول لي: بأن صديق ابنه قال له: يا عم أنا أراك توصل ابنك إلى المدرسة!.فقال له : نعم. فقال له: أنا أبي لم يوصلني في عمره إلى المدرسة !.لا يرى أولاده، يتكلمون مع أبيهم على الهاتف فقط .

فيقول لهم :الآن سأرسل لكم السائق ومعه الغداء.

الأولاد يريدون الأب ، ولا يريدون الغداء !.

وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ

مسكين لم يعد يرى امرأته، لم يعد يرى أولاده،لم يعد يرى أهل بيته،لم يعد يرى حتى نفسه....، قال تعالى:﴿ . . .نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ . . . ﴾[التوبة :76].وفي آية أخرى: ﴿ ..نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ . . . ﴾[الحشر:19].

أحياناً تجده من كثرة عمله ينسى أن يتناول طعامه ، حتى نفسه نسيها ؛ نسي أنه يجب أن يأكل ، ويجب أن يتنفس ،ويجب أن يرتاح قليلاً.

النتيجة : لا يوجد حل أبداً إلا أن نبيع أنفسنا كلها، ووقتنا كله لله، والله إذا فعلنا ذلك ربحنا، وكل الذين فعلوا ذلك قد ربحوا.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا خالصين له ومخلصين له وواقفين عند حدوده.

اللهم يا ودود يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما تريد نسألك بعزك الذي لا يضام وبملكك الذي لا يرام وبنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك أن تجعلنا

خالصين لك مُخْلِصِيْنَ لك مُخْلَصِيْنَ لك، يا فارج الهم فرّج، يا فارج الهم فرّج، يا فارج الهم فرّج.

اللهم أنت أمرتنا أن نرحم عزيز قوم ذل، وإننا قد ذللنا بين يديك، اللهم فارحم ذلنا، اللهم وارحم فقرنا، اللهم وارحم ضعفنا، اللهم وارحم انكسارنا .

اللهم آمين اللهم آمين اللهم آمين.وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.